

السنة الثلاثون والأربع مئة

فيها في المُحَرَّم جلس الخليفةُ جلوساً عاماً لتلقيبِ الملكِ أبي كاليجار والخَلْعِ عليه، وحضر الوزيرُ كمالُ الملكِ ووجوهُ الحواشي والقضاةُ والشهودُ والأشرافُ والعلماءُ، وحضرَ الوزيرُ عميدُ الدولة أبو سعد، وتقدّمَ الوزيرُ كمالُ الملكِ وقال للخليفة: العبدُ ملكُ الملوكِ شاهنشاهِ الأعظمِ يسألُ مولانا ما سبق به الإنعام في معنى المرزبانِ ابنِ أخيه، فقال: نفعل. وأحضرتِ الخَلْعُ المعهودة، وقرئَ عهدهُ على ما جرت به العادة.

وفي شعبانِ صاهر أبو كاليجار مسعود بن محمود [بن سُبُكْتِكِين] على أختِ مسعود، ومضى الرسلُ إلى عَزْنَةَ، وقيل: إنما كان العقدُ لسعيد بن مسعود على ابنةِ أبي كاليجار، وكان يوماً مشهوداً.

[وحكى ابن الصابئ عن] بعض الرسل: دُعينا إلى بابِ مسعود بعَزْنَةَ، فشهدنا بالبابِ أصنافَ العساكرِ، وملوكَ جُرجانِ وطبرستانِ وخراسانِ والهندِ [والسندِ] والتركِ، وقد أُقيمتِ الفَيْلَةُ عليها الأَسِرَّةُ والعَمَارِياتُ الملبَّسةُ بالذهبِ، مرصعةٌ بأنواعِ الجواهرِ، ودخلنا وإذا بأربعةِ آلافِ غلامٍ وقوفٌ سِمَاطِينَ، وفي أوساطهم مناطقُ الذهبِ [والفضةِ]، وبأيديهم أعمدةُ الذهبِ، ومسعودٌ جالسٌ على سريرٍ من الذهبِ لم يوضَعْ على الأرضِ مثله، وعليه الفُرُشُ الفاخرةُ، وعلى رأسه تاجٌ مُرْصَعٌ بالجواهرِ واليواقيتِ، وقد أحاط به الغلمانُ الخواصُّ بأكملِ زينةِ، ثم قام مسعودُ فانتقل إلى سِمَاطٍ من فضةٍ عليه خمسونِ خِواناً من الذهبِ، على كلِّ خِوانٍ خمسةُ أطباقٍ ذهبٍ، فيها أنواعٌ من الأشربةِ، فسقاهم الغلمانُ، ثم قام مسعودُ إلى مجلسٍ عظيمٍ الأقطارِ فيه ألفُ دَسْتٍ من الذهبِ، وأطباقٌ كبارٌ حَسْرَوانِيَّةٌ فيها الكِيزانُ، وعلى كلِّ طبقٍ زَرَفَةٌ ذهبٍ، وأطباقٌ كبارٌ ذهبٍ، فيها المسكُ والعنبرُ والكافورُ، وأشجارُ الذهبِ [والفضةِ] مرصعةٌ بالجواهرِ واليواقيتِ، وشموعٌ من ذهبٍ، في رأسِ كلِّ شمعةٍ قطعةٌ من الياقوتِ الأحمرِ، يلمعُ كلمعانِ النارِ، وأشجارُ العودِ قائمةٌ بين ذلك، وفي آخرِ المجلسِ رَحَى من الذهبِ يطحنُ المسكُ والكافورُ والعنبرُ، [وفي جانبِ المجلسِ بحيرةٌ في جوانبها

من الجواهر والعنبر^(١) والفصوص واللؤلؤ شيء يقصر الوصف [عنه]. وذكر أشياء أُخِرَ تَحْيِيرُ الأَسْمَاعِ. [قلت: فما بقينا ولا بقوا].

وبعث مسعوداً خادماً ليتسلّم البيت، وأكرم الرسلَ وردّهم، فمات الخادم والرسل قبل أن يصلوا إلى شيراز، [وهذا من العجائب].

وفيها سأل جلال الدولة الخليفة أن يُلقَّبَ ابنه لقباً، فلَقَّبَه الملك العزيز، وكان مقيماً بواسط، وبرز إلى ملك بني بُويه.

وفيها استولى العُزُّ على هَمْدَانَ وما قاربها، واستفحل أمرهم.

وفيها استولى بنو سلجوق على خراسان والجبال، وهرب مسعود بن محمود منهم إلى غَزْنَةَ، واقتسموا البلاد.

ذِكْرُ بَدَايَتِهِمْ:

أصلهم تركمان، ينزلون في الخركاوات^(٢) بالبراري من وراء النهر، فزَوَّجَ سلجوق ابنته من رجل يُعرف بعلي تِكِين، فأفسد على محمود بن سُبُكْتِكِين البلادَ بالتهب والغارات، فقصدهما محمود، فأَمَّا عَلِيٌّ فَأَفْلَيْتَ، وَأَمَّا سَلْجُوقٌ فَأَسْرَهُ، وبقي طُغْرُكْبَك - واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق - في أربعة آلاف خَرْكَاةٍ ينتقلون من مكان إلى مكان، فلَمَّا توفى محمود اشتغل ابنه مسعود بلدَّاته وغرق فيها، ولم ينظر في الأمور، فاجتمع إلى طُغْرُكْبَك خلقٌ عظيمٌ من التركمان، فورد نيسابور وقد استولى عليها اللصوص فهذَّبها، ومال إليه المستورون وأحبُّوه، فسار إلى مسعود فهزمه، واستولى على خراسان، وولَّى أخاه داود مرو وسَرْخَسَ وبلخ، وابن عمه الحسن بن موسى هَرَاةَ وبُوشَنجَ وسِجِسْتَانَ، وولَّى أخاه لأمه إبراهيم يَنَالَ دِهستانَ، وقصد بنفسه الريَّ، فوقع على دَفَائِنَ كثيرةٍ فتقوَّى بها، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها جلس الخليفة، وخلع على قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا عُقَيْبَ ما جرى على أخيه من النكبة، وقُورِيءَ تَوْقِيْعُ جَمِيْلٍ في أمره بمحضِرٍ من

(١) هذه الزيادة والتي بعدها من (ف) وحدها.

(٢) الخركاوات جمع خركاة: وهي الخيمة الواسعة، وتقدمت مراراً.

الخليفة، وكان أخوه هبة الله أبو القاسم وَزَّر^(١) لجلال الدولة مراراً، وكان حافظاً للقرآن، عالماً بالأخبارِ وأيامِ الناس، حُنِقَ بِهَيْتٍ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق ولا من الشام ولا من مصر.

و[فيها] تُوفِّي أبو الفتوح الحسن بن جعفر، العلوي، أمير مكة.

وفيها استوزر أبو نصر بن مروان صاحب ميافارقين أبا نصر محمد بن محمد بن جَهِير - وكان من الموصل - صهر ابن أبي العقارب رئيس الموصل، فجزت بينهما مشاحنةٌ أورثت عداوةً، وكان ابن أبي العقارب حاكماً على الموصل، فأرسل إلى قرواش، وقال: لا بُدَّ من إخراجِه. فأخرجه، فمضى إلى ميافارقين، فاستوزره ابن مروان ولقبه كافي الكُفَاة، فساس الأمور، وأحسن إلى الناس.

وكان كريماً مفضلاً مُمدِّحاً، امتدحه الشعراء؛ ابن حَيُّوس والخفاجي وغيرهما، وراسل الخلفاء والملوك، وحمل دولة بني مروان، ووَزَرَ للقائم، وسنذكره.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله^(٢)

ابن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، أبو نعيم الأصفهاني، صنَّف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري ميلاً كثيراً.

قال الخطيب: كان يخلط المسموع بالمجاز له ولا يوضح أحدهما من الآخر.

وقال عبد العزيز النَّحْشَبِي: لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بتمامه من أبي بكر بن خلَّاد، فحدَّث به كله.

وتُوفِّي في ثاني عشر المُحَرَّم بأصبهان، أسند الحديث عن جماعة، وروى عنه حمَّد ابن أحمد الحداد كتاب «الحلية»، وقد أودع كتاب «الحلية» الأخبارَ الموضوعة، والأحاديثَ الباطلة، ولم يُبَيِّن الصحيحَ من السقيم، وسجع في تراجم الرجال سجعاً

(١) المثبت من (ف)، وفي باقي النسخ: وزير.

(٢) المنتظم ٢٦٨/١٥، و صفة الصفوة ١/٢٠-٣٢. وتظر بقية مصادر الترجمة في السير ٤٥٣/١٧.

بارداً وما كان فته، وأضاف التصوّف إلى أبي بكر وعمر والصحابة رضي الله عنهم، وإلى سفيان الثوري ومالك والشافعي، رحمة الله عليهم أجمعين.

ثم إنه ذمّ الصوفية فقال في ترجمة الشافعي: قال الشافعي: التصوّف مبنّي على الكسل، ولو تصوّف رجلٌ أولَ النهار لم يأتِ الظهَرَ إلا وهو أحرق.

[وفيها تُوفّي]

الحسن بن الحسين^(١)

أبو علي، الرُّحَجي، الوزير، وزر لمشرّف^(٢) الدولة [أبي علي بن بهاء الدولة] سنتين، ثم عُزِلَ، وكان في زمان عطلته عظيمَ الجاه، وتوفي [في هذه السنة] وقد قارب الثمانين، وقيل له: إن واسطاً خاليةً عن مارستان [وهي مصر من الأمصار الكبار]. فبنى بها مارستاناً، وأنفق عليه أموالاً عظيمةً، ووقف عليه الضياع، وهو الذي تولّى إثارة أموال فخر الملك أبي غالب^(٣) من غير عسفٍ، ولا ضربٍ أحداً بعضاً، واستخرجها بالطف الوجوه، وسببه أنه وقع بجريدة بخطّ فخر الملك، وقد أودع الأموال عند جماعة، وكَتَى عن ألقابهم وغير أسماءهم، فكان فيها عند الكوسج اللّحياني كذا وكذا ألف دينار، وعند بُسرة بقمعها كذا وكذا ألف دينار، فلم يعرف من هذين، فدخل عليه رجلٌ كان يأنس بفخر الملك متظلماً من جارٍ له، فقال: يا مولانا، قد كان فخر الملك يُحبُّني ويطلِّعني على أسراره، ويُلَقِّبني بالكوسج اللّحياني. فقال له: تعالٍ أحضر العشرين ألف دينار التي عندك وديعةً. فأنكر، فأمر بتقريره، فحملها بختومها، ثم فكَّر في بُسرة بقمعها، وكان هلال بن المحسن الصابئ المؤرِّخ كاتباً لفخر الملك، فأخذ الباء من الصابئ والسين من المحسن، فاستدعاه وخاطبه سرّاً في مالٍ فخر الملك، فاعترف وقال: عندي منه شيء. فقال له الرُّحَجي: فمُ أيُّها الرئيس آمنأ، ولا تُظهِرُ هذا الحديث لأحد، وأنفقِ المالَ على نفسك وولدك. ثم دخل هلالٌ بعد ذلك على أبي سعد بن عبد الرّحيم في أيام وزارته، فقال له: قد علمتُ ما دارَ بينك وبين الرُّحَجي،

(١) المنتظم ٢٦٩/١٥ - ٢٧٠.

(٢) في (م) وحدها: لشرف، والصواب ما أثبتته من باقي النسخ ومن المصادر.

(٣) في (ف): أبي كاليبجار، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المنتظم ٢٦٩/١٥.

وأنت تعلم حاجتي إلى الحبة الواحدة وتأولي على من لا معاملة بيني وبينه، ولا يسبقني الرُّحجي إلى مكرمة، وما كنت لأُنكَبَ مثلك، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس. فاشتغل ابن الصابيء من ذلك الوقت بتاريخه الذي دَّيَلَه على تاريخ سنان بن ثابت، فاستخدمه الملوك، فلم يحتج إلى إنفاق شيء من المال، وخلف ولده أبا الحسن محمد المعروف بغرس النعمة، وظهر له دفائن في داره تشتمل على اثني عشر ألف دينار، وما كانوا يظنون أن تركته تبلغ ألف دينار، وتمزق الكل في أسرع وقت. [وفيهما تُوفِّي]

عبد الملك بن محمد^(١)

ابن عبد الله بن محمد بن بشران بن مهران، أبو القاسم، الواعظ، البغدادي، وهو أخو أبي علي الحسين بن بشران، وكان الأصغر، ولد سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة في شوال، وكان فاضلاً، يتكلم على الناس، وله قبولٌ عظيم، وكان يعظ بجامع المنصور والرِّصافة، وكان يسكن بالجانب الشرقي من بغداد بدرب الديوان عند جامع المهدي، وكانت وفاته في ثاني عشر ربيع الآخر، ودُفِنَ بمقبرة المالكية إلى جانب أبي طالب المكي بوصية منه، سمع أحمد بن سلمان النجّاد ودَعَلَج بن أحمد وغيرهما. قال الخطيب: وكتب عنه، وكان يشهد عند الحكّام ثم ترك الشهادة رغبةً عنها. [وفيهما تُوفِّي]

الفضل بن منصور

أبو الرِّضا، البغدادي، ويقال له: ابن الظريف، كان شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من المنسرح]

يا قالة الشعرِ قد نصحتُ لكم ولستُ أدهى إلا من النُّضحِ
قد ذهبَ الدهرُ بالكرامِ وفي ذاك أمورٌ طويْلُ الشُّرحِ
أطلبونَ النَّوالَ من رجلٍ قد طُبِعَتْ نفسهُ على الشُّحِّ

(١) تاريخ بغداد ٤٣٢-٤٣٣، و المنتظم ٢٧٠-٢٧١.

وَأَنْتُمْ تَمْدَحُونَ بِالْحُسْنِ وَالظَّرْفِ وَجَوْهَاءَ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ^(١)
 مِنْ أَجْلِ ذَا تُحْرَمُونَ رِزْقَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ فِي الْمَدْحِ
 صَوْنُوا الْقَوَافِي فَمَا أَرَى أَحَدًا يَغْلِقُ فِيهِ الرَّجَاءَ بِالنُّجْحِ
 فَإِنْ شَكَّكُمْ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ فَكْذِبُونِي بِوَاحِدٍ سَمِحِ
 وقال: [من البسيط]

وَمُخْطَفُ الْخَصْرِ^(٢) مَطْبُوعٌ عَلَى صَلْفِ^(٣)
 وَكَيْفَ أَطْمَعُ مِنْهُ فِي مَوَاصِلِهِ وَعَشِقْتُهُ وَدَوَاعِي الْبَيْنِ تَعَشَّقُهُ
 وَقَدْ تَسَامَحَ قَلْبِي فِي مَسَاعِدَتِي وَكَلَّ يَوْمٍ لَنَا شَمْلٌ يُفَرِّقُهُ
 أَهَابُهُ وَهُوَ طَلَقَ الْوَجْهَ مَبْتَسِمٌ عَلَى السُّلُوِّ وَلَكِنْ مَنْ يُصَدِّقُهُ
 وَكَيْفَ يُطَوِّعُنِي فِي السَّيْفِ رَوْنَقُهُ وَكَيْفَ يُطَوِّعُنِي فِي السَّيْفِ رَوْنَقُهُ

محمد بن الحسين^(٤)

ابن محمد بن خلف، أبو خازم، ابن الفراء، أخو القاضي أبي يعلى، سمع الحديث ببغداد، وسافر إلى مصر، فنزل ببتيس، وتوفي بها يوم الخميس سابع عشر المحرم، وحمل إلى دمياط فدفن بها، سمع الدارقطني وغيره، وحدث بدمشق عن عيسى بن علي الوزير، وقال الخطيب: كتبنا عنه، ولا بأس به.

[وفيها توفي]

محمد بن عبد الله

أبو بكر، الدينوري، الزاهد، كان جلال الدولة يزوره ويمشي إليه، سأله يوماً في مكسٍ كان يؤخذ من الملح مقداراه في كل سنة ألفاً ديناراً، فأطلقه. وكان زاهداً عابداً

(١) البيت في (خ) هكذا:

وَأَنْتُمْ تَمْدَحُونَ بِالْجُودِ وَالْجَدْلِ لِنَاماً فِي غَايَةِ السَّرْحِ
 وَكَذَا فِي الْمُنْتَظَمِ ، لَكِنْ جَاءَ فِي آخِرِهِ: الشَّحْ ، بِدَلِّ: السَّرْحِ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ف) كَمَا فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ
 ١٣١/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٢٤/١ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٤٦/١٢ .

(٢) مُخْطَفُ الْخَصْرِ: ضَامِرُ الْبَطْنِ وَالْحَشَا. يَنْظُرُ اللَّسَانَ: (خَطَفَ).

(٣) الصَّلْفُ: مَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي الظَّرْفِ وَالْبِرَاعَةِ وَالْإِدْعَاءِ فَوْقَ ذَلِكَ تَكَثُّراً. اللَّسَانُ (صَلْفَ).

(٤) تاريخ بغداد ٢٥٢-٢٥٣/٢ ، وَالْمُنْتَظَمُ ٢٧١/١٥ .

وكان ابنُ القزويني أبو الحسن يُثني عليه ويقول: عبر الدَّيْنُورِي قنطرةً، وخَلَّفَ مَنْ بعده وراءه.

[وحكى الخطيب أن أبا] الوفاء الواعظ حُجِلَ إلى الدَّيْنُورِي وقد رمدت عينه، وكان الرمد يعتريها كثيراً، فأدخل حِنصرَه فيها ومسحَ عليها. [قال أبو الوفاء]: فأقمتُ ستين سنة لم أرمد.

تُوْفِّي الدَّيْنُورِي في شعبان، وكان يسكن شرقيَّ بغداد، واحتفل الناس بجنائزته، وصُلِّي عليه بجامع الرُّصافة، ثم عبروا به إلى جامع المنصور فَصُلِّي عليه، [واجتمع في جنازته] خلقٌ كثيرٌ، وحُجِلَ إلى مقابر الإمام أحمد - رحمه الله عليه - فدُفِنَ بها.

السنة الحادية والثلاثون وأربع مئة

فيها نهبتِ العرب نهرَ الملك وضياع بغداد، وساقوا المواشي، وحملوا الأقوات، وأحرقوا عدَّة قرى ودواليب، وخرقوا الهيبة، وسبُّه قِرَواش، فإنه جرَّأهم على ذلك وأمرهم به، فغاظ ذلك جلالَ الدولة، وعزم على قصده، وكان الثلث من مَعَلِّ العراق قد جعله جلالُ الدولة لِقِرَواش، فقطعه عنه، وجهز أبا الوفاء القائد وخلع عليه، وبعث معه العسكر وأبا الفتح ابن وَرَّام، فنزل السندية سادس صفر، وليلة بقيت منه يوم الأحد كان في دار المملكة إملاكان في أحدهما لأبي علي فناخسره بن جلال الدولة على جهان بابويه بنت أبي كالجبار، والثاني لأبي نصر فيروز بن أبي كالجبار على السيدة زينب بنت جلال الدولة، والصَّدَاق في كلِّ واحد منهما خمسون ألف دينار، وحضر جلال الدولة، وكان وكيله في العقد على ابنته وقبول العقد لابنه المرتضى الموسوي، ووكيل عَزَّ الملوكة أبي كالجبار في مثل ذلك أبو القاسم بن عبد العزيز الحسين بن مرشد الفَرَّاش سلار^(١)، وحضر القضاة والأعيان والوزراء وحَدَّم الخليفة والحُجَّاب، وخطب القاضي أبو الحسين ابن الغريق، ونُثرت دراهمٌ ودنانير، وكُتِبَ بذلك كتابٌ أنشأه المرتضى.

وفي ربيع الآخر مات شبيب بن وثاب النميري صاحب حرَّان، وكان الدُّزْبَرِي قد قصده فخطب لصاحب مصر بالركة خطبة واحدة، ثم قطعت، واستنجد ابنُ وثاب بالعرب.

(١) هكذا وقع الكلام في (خ)، وهي النسخة الوحيدة لذكر هذا الخبر!